أثر الإسلام في شعر معن بن أوس المزني وأشكاله

عمر الساريسي*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى توضيح مدى تمثل الشاعر معن بن أوس المزني (٦٤هـ) *لتعاليم الفكر الإسلامي في شعره. فقد ذكرت كتب التراجم أنه إسلامي فحل من بين الشعراء الذين عاشوا عصري الجاهلية وصدر الإسلام، واكتفت بذلك. لذلك قامت الضرورة لتجلية أبعاد هذه الإسلامية في شعره، ما بين تأثر شكلي بدا في المفردات والصياغات اللغوية تارة، وتأثر جوهري بدا في الفكر والمفاهيم الدينية وفي الممارسة والأخلاق والتعامل مع الناس تارة أخرى، كل ذلك بمستوى فني من الأداء الشعري المناسب.*

تمهيد:

ينتهي نسب معن بن أوس[1] إلى قبيلة "مزينة" المشهورة بين القبائل العربية، بشعرائها الجاهليين (زهير بن أبي سلمى) والمخضرمين (كعب بن زهير وبجير بن زهير ومعن بن أوس)، وكانت (مزينة) تسكن في أرض الحجاز، مما يلي المدينة المنورة صوب مكة.

ومعن بن أوس شاعر إسلامي مجيد كما يقول صاحب سمط اللآلي[2].

وهو عند أبي الفرج شاعر مجيد فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله مدائح في جماعة من أصحاب النبيﷺ، وقد عمَّر إلى أيام مروان بن الحكم[3]، ويغلّب محققا ديوانه أنه توفي عام أربعة وستين[4].

وقد ذكر هذان المحققان أنه قد تأثر بالإسلام وأن له موقفاً إنسانياً حميداً، ظهر من شعر له اعترض فيه على من يسيء معاملة البنات من بعض الآباء في عصره.

*أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء – الأردن.

١. تجد ترجمته في:
- الأصبهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، طبعة دار الكتب، جـ١٢، ص٥٤-٦٥.
- البغدادي، **خزانة الأدب**، جـ٣، ص٢٥٨.
- البكري، **سمط اللآلي على أمالي أبي علي القالي**، جـ٢، ص٧٣٣.
- ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق البجاوي، مصر، جـ٦، ص٣٠٩.
- المرزباني، **معجم الشعراء**، تحقيق عبدالستار فراج، مصر، ١٩٦٠ ص٣٢٢.
- الحصري، **زهر الآداب**، تحقيق البجاوي، ١٩٥٣، القاهرة، جـ٢، ص٨١٦.
- السيوطي، **شرح شواهد المغني**، دمشق ١٩٦٦م، جـ ١، ص٢٠.
- العباسي، **معاهد التنصيص**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٧م.
- ولم ترد له ترجمة في طبقات فحول الشعراء (ابن سلام الجمحي ٢٣١هـ) ولا في الشعر والشعراء (ابن قتيبة ٢٧٦هـ).

٢. البكري، جـ٢، ص٧٣٣.

٣. الأغاني، جـ١٢، ص٥٤ والخزانة جـ٢، ص٢٥٨.

٤. ديوانه، بتحقيق القيسي، نوري حمودي وزميله، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧ (المقدمة).

وعلى هذا الديوان كان اعتمادنا الأكبر في هذا البحث، مع التذكير بأنه لا يحوي جميع أشعاره، في جميع مراحل عمره، فقد أشار محققا الديوان إلى ضياع الأشعار التي تمثل مراحله الأولى (المقدمة).

وحينما ينظر الباحث في شعر معن يتجلّى له تأثر عميق بتعاليم الإسلام ينتشر في غير موضع من ديوانه ويظهر في تعامله مع أفراد المجتمع الذي عاش فيه. بل إن من يمعن النظر في خلف السطور في الديوان لتأخذه الدهشة لكثرة تفاعله مع الفكر الإسلامي وأخلاقياته، وما نتج عن ذلك من تمثل لهذا الفكر في شعره، مما دعا إلى القيام بهذا البحث، لتتبع مواضيع أثر الإسلام فيه وأشكالها وأبعادها.

أشكال تمثل الشاعر للفكر الإسلامي:

تدرّج الشاعر في تمثل الفكر الإسلامي تدرجاً يمكن أن يلحظ أولاً في المفردات والتراكيب وهو البعد الشكلي البسيط، ثم في فهم العلاقات الاجتماعية فهماً يتناسب مع الإسلام ثانياً، والممارسات اليومية المبنية على قيمه وتعاليمه، ولعلها أرقى هذه الاشكال، ثالثاً.

أولاً: في التشكيل اللغوي

أ) يلفت انتباه الباحث، في ديوان هذا الشاعر، أنه يستخدم بعض مفرداته، لا بمدلولاتها اللغوية المتعارف عليها في المعاجم، ولكن بما أخذت تعني في تطور مدلولها في الإسلام، فكلمة **مولى** عنده لم يُرِد منها السيد أو الخادم، كما هو معروف في متضاد اللغة، ولكنه أراد ابن العم، حيث يقول:

وأعرِضُ عن مولايَ وهو يَعيبُني[٥]

وفي قوله:

٥. ديوانه، ص٨٢.

ولا خيرَ في مولاكَ ما دام نَصْرُه
عليكَ، ولم يتركْ لنارِكَ موقداً [٦]

وذلك تأسّياً بقوله تعالى، على لسان زكريا، في سورة مريم: "**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآءِي**"[٧]، كما أن الشاعر يؤثر أن يستخدم كلمة **الأجل** بدلاً من الموت.

ولم تُقرَبِ الآجالُ إلاّ لتنفذا[٨]

وأحسب أن **الأجل** لفظ إسلامي. وربما كان مثل ذلك استخدام كلمة **جاب** بمعنى قطع:

إليك، سعيدَ الخير، جابت مطيّتي[٩]

في مطلع قصيدة يمدح بها سعيد بن العاصي من بني أمية (مع ملاحظة صيغة **سعيد الخير** التي تذكر **بزيد الخير** الذي كان أصله **زيد الخيل**).

ويردّد الشاعر كلمة **الرحم** ثلاث مرات: وذي رحم[١٠]، فلولا اتقاء الله والرحم[١١]، لتدنيه مني القرابة والرحم[١٢]، مع ما في تركيب **ذي رحم** من تأثر بقوله تعالى: "**وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ**"[١٣].

وهو، كذلك يورد ألفاظاً وردت في القرآن الكريم، ككلمة **المعتّر** في قوله:

وأدنو من المعتّرِ أنْ يتبعّدا[١٤]

والمعتّر هو الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل، في قوله تعالى: "**وَأَطْعِمُواْ**

٦. ديوانه، ص٨١.
٧. مريم:٥.
٨. ديوانه، ص٨٠.
٩. ديوانه، ص٤٧.
١٠. ديوانه، ص٤٠.
١١. ديوانه، ص٤٢.
١٢. ديوانه، ص٤٥.
١٣. الأنفال:٥٧، الأحزاب:٦.
١٤. ديوانه، ص٨٢.

انْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ"[١٥]، و **مطلع الشمس** في قوله:

ولو سرتَ **حتى مطلعِ الشمس لم تَجِدْ**[١٦]

من قول الله تعالى: "**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ**"[١٧]، وذكره لقوم يأجوج والردم الذي صنعه دونهم ذو القرنين في قوله:

كأنّي إذا لم ألقَ نُعْماً مجاورٌ

قبائلَ من يأجوجَ من دونِها الرُّدْم[١٨]

متأثر بقصتهم في سورة الكهف أيضاً[١٩].

وقد ورد في شعره **جنات النعيم**:

جزاكَ اللهُ يا عُمَرَ بنَ حفصٍ

عن الإخوانِ جناتِ النعيمِ[٢٠]

كما وردت كلمة **العصرين**:

وإيضاعَكَ العصرينِ تبغيْ نزيعةً

بها الوسمُ فذاً وحدَه ومؤالِفَا[٢١]

وقد وردت في حديث رسول الله ﷺ، والعصران كما في الحديث: **صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها**[٢٢].

ب) ويورد الشاعر تراكيب لغوية أخذها من القرآن الكريم أخذاً صريحاً مباشراً، فقوله: **كظمي على غيظي**[٢٣] من قوله تعالى: "**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**"[٢٤].

وقوله: **وخفض له مني الجناح**[٢٥] من قوله تعالى: "**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**"[٢٦].

وقوله: **وصبري على أشياء**[٢٧] من قوله تعالى: "**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**"[٢٨].

وقوله: **تصبني مصيبة**[٢٩] من قوله تعالى: "**مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ**"[٣٠].

وقوله: **خطمته بوسم شنار**[٣١] من قوله تعالى: "**سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ**"[٣٢]. ومن معاني **خَطَمَ** في اللغة جعل على أنفه خِطاماً، وهو للأبل كاللجام للفرس، وخطمَ أنفَ فلان: ألصق به عاراً ظاهراً.

جـ) ويأتي الشاعر على صياغات أسلوبية أكثر اقتفاء للصياغات القرآنية. انظر إلى قوله: **فلولا اتقاء الله والرحم**[٣٣]. أليست منسوخة عن قوله تعالى: "**وَاتَّقُوا اللهَ الذي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**"[٣٤]، وتدبر قوله:

وأدنو من المعترِّ أن يتبعَّدَا[٣٥]

ولاحظ المصدر المؤول: **أن يتبعد** الممكن

---

١٥. الحج:١٥.
١٦. ديوانه، ص٦١.
١٧. الكهف:٩٠.
١٨. ديوانه، ص٤٠.
١٩. الكهف:٨١-٩٥.
٢٠. ديوانه، ص١١٣.
٢١. ديوانه، ص٨٦.
٢٢. سنن أبي داود، باب المحافظة على وقت الصلوات، الحديث:٤٢٨١.
٢٣. ديوانه، ص٤٥.
٢٤. آل عمران: ١٣٤.
٢٥. ديوانه، ص٤٥.
٢٦. الإسراء:٢٤.
٢٧. ديوانه، ص٤٥.
٢٨. لقمان:١٧.
٢٩. ديوانه، ص٧٢.
٣٠. الحديد:٢٢، التغابن:١١.
٣١. ديوانه، ص٤٢.
٣٢. القلم:١٦.
٣٣. ديوانه، ص٤٢.
٣٤. النساء:١.
٣٥. ديوانه، ص٨٢.

إعرابه مفعولاً لأجله، أو يمكن اعتباره بدلاً من المفعول لأجله المحذوف **خوفاً من**، وهو كثير الورود في القرآن الكريم، **"وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ"**(٣٦).

وربما كان من هذا القبيل أيضاً قوله:

لأستلَّ منه الضِّغْنَ حتى استللتُه

وقد كان ذا حقدٍ يضيقُ به الجرمُ(٣٧)

فالشطر الثاني من البيت تأثر بقوله تعالى: **"وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُم وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ"**(٣٨).

د) كما يقارن الشاعر بين ثنائيات متناقضة واضحة التناقض ليقف بإصرار ووضوح مع الجانب الإسلامي منها.

تأمل في قوله:

وما تستوي حرب الأقارب والسِّلْمُ (٣٩).

ومثل ذلك في قوله:

فأطفأت نارَ الحربِ بيني وبينَه

فأصبحَ بعد الحربِ وهو لنا سَلْمُ(٤٠)

إنه مع السلم في العلاقات مع الأقارب وهذا أفضل من التعامل معهم بخصومة وقتال، فضلاً عن التركيب القرآني في الحكم بين متناقضين بأسلوب **ما يستوي**:

"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُونَ وَالذِّينَ لاَ يَعْلَمُونَ"(٤١).

"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ"(٤٢).

"وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ"(٤٣).

وتأمل قوله:

دعاني يشبُّ الحربَ بيني وبينَه

فقلت له: لا، بل هَلُمَّ إلى السِّلْم

وإياكَ والحرب التي لا أديمُها

صحيحٌ، ولا تنفكُّ تأتي على رُغْم

فلما أبى خلَّيتُ فَضلَ عِنانِه

إليه، فلم يرجعْ بحزمٍ ولا عزمِ

فكان صريعَ الخيلِ أولَ وهلةٍ

فبعداً له مختارَ جهلٍ على حلمِ(٤٤)

إنه يرفض الحرب بينه وبين ابن عمه ويدعوه إلى السلم، ثم يبين له نتائج الحرب التي يضطرون إليها اضطراراً، وحينما لم يسمع منه ابن عمه تركه وشأنه، فلقي مصرعه، لأنه، اختار الجهل ورفض الحلم!

هما، إذن، ثنائيتان: **الحرب والسلم، والجهل والحلم**، إنه يقف في مصاف السلم والحلم

٣٦. الحجرات:٢.

ومثل ذلك الآيات الكريمة التالية:

- **"فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ"** [الحجرات:٦].
- **"وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا"** [البقرة:٢٢٤].
- **"فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا"** [البقرة:٢٨٢].
- **"وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا"** [النساء:٦].

٣٧. ديوانه، ص٤٥.

٣٨. إبراهيم:٤٦.

٣٩. ديوانه، ص٤١.

٤٠. ديوانه، ص٤٦.

٤١. الزمر:٩.

٤٢. الرعد:١٦.

٤٣. فصلت:٣٤.

٤٤. ديوانه، ص١١٢.

مقابل صف ابن عمه الذي اختار الحرب والجهل.

وقد افتخر الشاعر بأنه قد تجاوز جهل ابن عم له، وكان يستطيع أن يتخلص منه بالقوة:

وأوْرَه منهم قد تعدّيتُ جهلَه

ولو شئتُ جرَّ الحبلَ عن وجهِهِ حلمي[٤٥]

إن الجهل مرادف في صفات ابن عمه للحرب، وحلمه هو مرادف للتجاوز والتسامح.

ويقف الشاعر عند ثنائيات أخرى في أخذ الجانب الإيجابي الذي يتناسب مع سمو الفكر الإسلامي، لأن الفريق المقابل قد ركب الجانب السلبي المعاكس:

فهو مع العدل إذا كان ابن عمه مع الجَوْر:

إن أدعُه للنَّصَف يأبَ ويعصِني

ويدعو لحكمٍ جائرٍ عَصَرُهُ الحكم[٤٦]

وهو مع صلة القرابة إذا كان ابن عمه مع قطعها:

إذا سمتُه وصلَ القرابة سامني

قطيعتَها، تلك السفاهةُ والأثمُ[٤٧]

وهو مع الكرم الذي يعقب الحمد وليس مع البخل الذي يعقب الذم:

لكفٍ مفيدٍ يكسب الحمدُ والندَى

ويعلمُ أن البخلَ يعقُبه الذمُ[٤٨]

ولا يزال مع الكرم محارباً للبخل، ما دامت الأعمار محدودة لا علاقة لها بهما.

أريني جواداً مات هُزْلاً لعلني

أرى ما ترينَ أو بخيلاً تخلّدا[٤٩]

ومن هذه الأشكال اللغوية المختلفة ما بين مفردة متأثرة بمفردات الكتاب الكريم أو أسلوب تركيبي ينظر إلى تراكيبه وصياغاته يتبين للمتأمّل مدى تفاعل هذا الشاعر مع لغة كتاب الإسلام الكريم.

ثانياً: في المفاهيم الإسلامية

ويقف الشاعر مما يعرض له في حياته مواقف فكرية تستند إلى الإسلام، فيما يصح أن نسميه مفاهيم إسلامية وقناعات عقلية، تكونت لديه وصدر عنها في مواضع كثيرة من أشعاره، يمكن توضيحها في النقاط التالية:

أ) في معالجة عدوان الأقارب

يذكر الشاعر أنه يحافظ على أحساب قومه بالمعروف وإن كانوا لا يبادلونه به.

تجودُ لهم كفّي بما ملكت يدي

وقمت بلا فُحش عليهم ولا بخلِ[٥٠]

ويصفح عن المسيء إليه منهم لعله يرجع عن إساءته:

وإن سُؤتني يوماً صفحت إلى غدٍ

ليعقِب يومٌ منك آخرُ مقبلُ[٥١]

ويكاد يكون الصفح عن المخطئ معه من أقاربه سمة بارزة في شعره، وعرف ذلك فيه الأقدمون، فقد فضله عبدالملك بن مروان على

٤٥. ديوانه، ص٩٦، وقد وردت في الديوان حملي، ولعل الصواب حلمي.

٤٦. ديوانه، ص٤١.

٤٧. ديوانه، ص٤١.

٤٨. ديوانه، ص٤٢.

٤٩. ديوانه، ص٨٠.

٥٠. ديوانه، ص٩٦.

٥١. ديوانه، ص٩٣.

شعراء الإسلام في عصره، بسبب القصيدة التي أول أبياتها:

وذي رحم قلّمْت أظفارَ ضغنه
بحلمي عنه، وهو ليس له حِلْمُ[٥٢]

كما فضل زهيراً، وهو من مزينة أيضاً، على شعراء الجاهلية بسبب موقفه المعروف من الحرب في حرب داحس والغبراء.

وفي القصيدة المذكورة ثلاثة وثلاثون بيتاً في المقارنة بينه وبين ابن عمه، يقف هو إلى جانب الحلم والترفع والعفو والتعفف عن الشتم والتواصل والاعتدال في المعاملة وتقوى الله، ويقف الطرف الثاني إلى جانب السفه والإسفاف والقطيعة والظلم واعتياد الشتيمة، كما يلاحظ المحققان في مقدمة الديوان[٥٣]، كل ذلك بدوافع إسلامية تحفظ علاقة الأقارب بعضهم مع بعض:

إذا سمتُه وصلَ القرابة سامني
قطيعتَها، تلك السفاهةُ والإثمُ
فلولا اتقاءُ الله، والرحمُ، التي
رعايتُها حقٌّ وتعطيلُها ظلمُ
إذاً لعلاه بارقي وخَطَمْتُه
بوسْم شنارٍ لا يشاكله وسمُ[٥٤]

ولقد تكرر منه تقديم حقوق القرابة على حقوقه الخاصة، فقد غرّر أحد أقاربه بابن له، وأخذه إلى الشام في إبل لأبيه معن، ثم قتل هذا الإبن، فقال:

فلــولا أنَّ أمَّ أبيه أمي
وأنْ منْ قدْ هجاه فقد هجاني
وأن أبي أبوه لذاق مني
مرارة مِبْرَدي ولكانَ شاني[٥٥]

فقد تنازل عن دم ابنه لقريبه لأن أم أبيه أمه وأنهما ابنان لأب واحد.

إن القرابة والعلاقات الأسرية لديه ليست تنطلق من دعاوى القبيلة، كما كانت في العصر الجاهلي، ولكنها قائمة على تقوى الله سبحانه، وعلى حفظ الأرحام. فها هو ذا يقدم تقوى الله على صلة الرحم، كما أمر الله تعالى في الآية "**وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**"[٥٦]، ولنلاحظ فهمه **للحق** الذي يرادف **الواجب** في الفقه الشرعي، ويقدر الظلم الذي يرادف الحرام في قوله:

فلولا اتقاء الله والرحم التي
رعايتها حق وتعطيلها ظلم[٥٧]

إن الشاعر ليستشعر، فيما يبدو، ما ورد في السنة النبوية أيضاً من دعوة إلى صلة الأرحام باستمرار، من مثل ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، من حديث الرسول ﷺ، **الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**[٥٨]، وغير ذلك من الأحاديث النبوية في نتيجة قاطع الرحم في

٥٢. ديوانه، ص٤٠-٤٦.

٥٣. ديوانه، ص١٤ و ١٥.

٥٤. ديوانه، ص٤٢.

٥٥. ديوانه، ص٧١.

٥٦. النساء:١.

٥٧. ديوانه، ص٤٢، وهذا المعنى متأثر بقوله تعالى: "**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**" (الأنفال:٧٥، الأحزاب:٦٠)

٥٨. متفق عليه.

الدنيا والآخرة.

ب) في فهم معنى الموت:

يروي الشاعر أن حواراً قام بينه وبين امرأة لامته على كثرة الجود، فيستحلفها بالله **الذي عند بيته الحرام مصلّى** أن تذكر له اسم كريم مات بسبب كرمه أو بخيلاً عاش إلى الأبد بسبب بخله! فلعلها إن وجدت مثالاً واحداً على ذلك تكن إلى الحق أقرب منه، وإلاّ، فما دامت عاجزة عن ذلك، فلتكف عن اللوم، فرأيه أصوب، وهو يعلم مالا تعلم، فإن محمداً ﷺ، قد مات! وليس لموته علاقة بالكرم والبخل، وإنما الإنسان يموت في الأجل الذي ضربه الله تعالى له، في الوقت الذي ينتهي عمره، وكل ذلك بيد الله فمهما تأخر موعد الوفاة فلسوف يأتي، لأن الله تعالى يقول: "**فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**"(٥٩).

ومن هذه الأبيات قوله:

تلوم على إعطائيَ المالَ ضلّةً
إذا جمع المالَ البخيلُ وعددا
أعاذلَ باللهِ الذي عند بيته
مُصلّى لمن وافى مُهلاً ولبَّدا
أريني جواداً مات هُزْلاً لعلني
أرى ما تَرَينَ أو بخيلاً تخلّدا
تكونين أهدى للسبيل الذي به
يوافقُ أهلُ الحق مني وأقصَدا
وإلا فَغُضّي بعضَ لومِك واجعلي
إلى رأيِ من عاتبتِ رأيَك مُسندا
فإني أرى ما لا ترينَ وإنني
رأيت المنايا قد أصابت محمداً
وإني أرى كلّ ابنِ أنثى مؤجلاً
ولم تضربِ الآجالُ إلا لتَنْفَدا(٦٠)

وكأني به يأخذ معنى البيت الأخير من قول الله تعالى: "**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**"(٦١). فمهما طال العمر فنهايته بيد الله تعالى. ولنقارن البيت الأخير بقول كعب بن زهير:

كل ابْن أنثى، وإن طالت سلامته،
يوماً على آلةِ حدباءَ محمولُ(٦٢)

ونبحث عن المنطلق الديني الذي يصدر عنه.

---

٥٩. الأعراف:٣٤، النحل:٦١.

يرى الباحث أن "باول شفارتز" أول ناشر لديوان معن قد أخطأ حينما قال عن الشاعر: "ويذكر محمداً ﷺ أيضاً ولكن بمعنى أن الموت قد أدركه دون العباد"، وهذا فهم سقيم للنصوص العربية، وإنما أراد الشاعر أن يقول إن الموت يصيب كل الناس دون استثناء ويصيب النبي محمد ﷺ، وهو أعزّ الناس. وقد قيل إن أصعب مصيبة أصيبت بها الأمة هي فقد محمد، عليه السلام.

ويحسّ الباحث أن هذا المستشرق قد أخطأ مرة ثانية في فهم نصوص هذا الشاعر، فقد حسب أن في قول معن:

إذا زال نعشي واعترتني منيتي
وصاحبت في لحدي الصفيح المنضدا
فقولي فتىً ما غيّبوا في ضريحهم
تزود من حب القرى ما تزودا

حسب أن في هذين البيتين عدم فهم للإسلام! ولا ندري أين عدم الفهم هذا؟ إن الأجساد حينما تدفن تنضد حولها الحجارة والصفائح، ولكن إذا كان هذا المستشرق ينكر بعث هذه الأجساد ونشرها ليوم البعث والحساب فهذا خطؤه هو وليس خطأ الشاعر.

٦٠. ديوانه، ص٨٠.

٦١. الرعد:٣٨.

٦٢. ديوانه، **صنعة السُكّريّ**، طبعة دار الكُتب١٣، ص١٩.

وإن الشاعر ليذكر المنية في أكثر من موضع من ديوانه ويرجع فيها إلى الفهم الإسلامي للموت:

لعمرُك ما أدري وإني لأوْجَلُ

على أيِّنا تعدو المنيةُ أولُ[٦٣]

أين هذا من قول المزني الجاهلي، زهير بن أبي سلمى:

رأيت المنايا خبطَ عشواء، من تُصِبْ

تُمِتْهُ، ومن تخطيءْ يُعمَّرْ فيهرمِ[٦٤]

ومن الفهم الإسلامي لمعنى الموت قوله في وصف نفسه:

أبَى لا يطيعُ العاذلاتِ ولا يَرى

من الموت حِصناً للبخيل مُشَيَّدا[٦٥]

أليس هذا الشعر ترجمة مقنعة لفظاً ومعنى لقول الله تعالى: "**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**"[٦٦].

جـ) في فهم بعض العادات والقيم العربية:

إن الشاعر لم تعجبه بعض العادات والقيم العربية التي كانت سائدة في عصره:

١. فهو يأخذ على بعض معاصريه كرههم للبنات، ينتقدهم ويبين لهم الصفات الحسنة في الخلف من البنات:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم

وفيهن، لا تُكذب، نساءٌ صوالحُ

ومنهن، والأيام تعثُرُ بالفتى،

عوائدُ لاَ يملَلْنَه ونوائحُ[٦٧]

فهن النساء الصالحات الصادقات في المستقبل، وهن اللواتي يعدن الأب المريض ويقمن على رعايته ويحزنّ عليه أكثر إذا مات. ويكرر هذا في موضع آخر من الديوان:

متى تأتِهم ترفعْ بناتي برَنّةٍ

وتصدحْ بنوحٍ يقرعُ النوحَ، أرنبُ[٦٨]

وقد يهيأ للبعض أن يقول إن سبب هذا كون الشاعر مئناثاً، كما أورد أبو الفرج الأصفهاني[٦٩]، والجواب أن من رزق بالبنات قد يرغب في البنين الذكور. وقد ذم الله تعالى من يكره أن يرزق بالبنات، "**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوارَى مِنَ القَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ**"[٧٠]، وقال تعالى: "**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ**"[٧١].

٢. وإن كانت العرب في الجاهلية تزجر الطير قبل بدء المسير بالرحلات، لتتفاءل إن كانت الطير بارحة (تمر عن اليمين) أو تتشاءم وتتطير إن كانت الطير سانحة (تمر عن جهة الشمال)، فإنه قد عزف عن هذا اللون القديم

---

٦٣. ديوانه، ص٩٣.

٦٤. ديوانه، **صنعةُ ثعلبَ**، طبعة دار الكُتب، ص٢٩.

٦٥. ديوانه، ص٨٢.

٦٦. النساء:٧٨.

٦٧. ديوانه، ص٨٥.

٦٨. ديوانه، ص٥٦.

٦٩. **الأغاني**١٢،٥٤.

٧٠. النحل:٥٨-٥٩.

٧١. الزخرف:١٧.

من النظر في الغيب، فهي لا تتناسب مع الفكر الإسلامي. يقول:

فكائنْ جَزَعنا من سنيحٍ وبارحٍ
إليها، وأفواهُ الأشاحيجِ تنعَب(٧٢)

أي كم قطعنا من طيور سانحة وبارحة، فلم نتطير بشيء منها.

ومن هذا القبيل ما يقوله للمرأة التي كان يحاورها حول الكرم وأثره على الفقر وأوردناه قبل قليل:

فلا تحسبين الشرَّ ضربةَ لازم
ولا الخيرَ في الدنيا على المرءِ سرمدا(٧٣)

إن الظروف السيئة لا تلازم صاحبها على الدوام وكذلك الظروف الحسنة، فكل هذا يتغير بأمر الله، إنها دعوى لرفض التشاؤم والاكتئاب الدائم "وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" كما قال الله تعالى(٧٤).

٣. وإذا فخر بأحساب القبيلة، كما يفعل الآخرون، فإنما يقدم الفخر بالإسلام أولاً:

إذا انتسبتْ مدتْ يدَيْها إلى العلى
وصدقها الإسلامُ والحسب الضخم(٧٥)

وهنا نذكر سحيم عبد بني الحسحاس الذي قال في عصر صدر الإسلام:

عُمَيْرةَ وَدِّعْ إن تجهزتَ غادياً
كفى الشيبَ والإسلامَ للمرءِ ناهياً

فقال له القائلون: هلا قلت كفى الإسلام والشيب(٧٦).

وكما أن الإسلام مقدّم عنده على الحسب القبلي فإنّه مقدم على قيمة عربية أصيلة كذلك، هي الكرم:

أخو العُرفِ معروفٌ له الدينُ والندى
حليفان ما دامت تِعار ويَذْبُلُ(٧٧)

فهو أخو المعروف؛ فالدين والكرم فيه حليفان أبديان كالمجاورة الأبدية بين جبلي **تعار** و **يذبل** ثانياً.

وإذا افتخر بفرسان قبيلته فإنما يفتخر بعفتهم ونبلهم مع قوتهم وفروسيتهم في قوله:

ولو سرتَ حتى مطلَعِ الشمس لم تجدْ
لقومٍ على قومي، وإن كرموا فضلاً
أعفَّ وأوفى بالصباح فوارساً
إذا الخيلُ جالت في أعنَّتِها قُبْلاً(٧٨)

ومعروف أن الرسول ﷺ قد امتدح عنترة لعفته، وقوله:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّه
حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ(٧٩)

وإذا أراد أن يتحدث عن بعض نساء قبيلته فإنما يذكرهن بالمحصنات اللواتي لم يُلحِقن بالأقارب خزياً:

ظعائنُ من أوسٍ وعثمانَ كالدُّمى
حواصنُ لم يخزِينَ عَمّا ولا بَعلاً(٨٠)

---

٧٢. ديوانه، ص٥٥.
٧٣. ديوانه، ص٨١.
٧٤. آل عمران:١٤٠.
٧٥. ديوانه، ص٤٠.
٧٦. العاني، سامي مكي، **الإسلام والشعر**، عالم المعرفة، حزيران ١٩٨٣، ص٥٥.
٧٧. ديوانه، ص٥٢.
٧٨. ديوانه، ص٦١.
٧٩. **الأغاني**، طبعةُ دارِ الكُتبِ ٨،٢٤٣.
٨٠. ديوانه، ص٦٠.

كما أنه إذا أراد أن يفخر بنفسه ذكر الصفات التي يرضى الله تعالى عنها في المؤمنين، البعد عن الريب والشبهات والفواحش:

لعمرُك ما أهويتُ كفي لريبة

ولا حملتني نحو فاحشة رجْلي

ولا قادَني سمعِي ولا بصري لها

ولا دلَّني رأيي عليها ولا عَقْلِي[٨١]

إنه بعيد عن الفواحش ، فلا يسمعها ولا يراها، ولا يفكر بها ببصره ولا بقلبه.

٤. وإذا أقسم فإنما يقسم بالله تعالى الذي يصلّي الناس في بيته الحرام:

أعاذلَ باللهِ الذي عندَ بيتِه

مُصَلّى، لمن وافى مُهِلاً ولَبّدا[٨٢]

وقد كان بعض الشعراء من قبل يقسمون بالأصنام وما يذبح لها وعليها من الحيوان قرباناً، كقول النابغة:

فلا لعمرُ الذي قد زرتُه حججاً

وما هريقَ على الأنصابِ من جسدِ[٨٣]

٥. وإذا دعا لامرىء بخير فإنما يدعو له بجنات النعيم.

جزاك الله يا عُمَرَ بنَ حفصٍ

عن الإخوانِ جناتِ النعيمِ[٨٤]

وعمر الممدوح من ولد عاصم بن عمر بن الخطاب، وقد أعانه على دَيْن أصابه.

ومن هذا الاستيعاب البيّن للمعاني الإسلامية في الحياة وفي الناس يتبين للمتأمل أيضاً مدى قناعة هذا الشاعر بالإسلام ديناً.

ثالثاً: الأخلاق الإسلامية

لقد أنزل الشاعر هذه القيم الإسلامية التي فخر بها وتمدح منزلة التطبيق العملي، فصارت له أخلاقاً يومية يتعايش بها مع الناس، ولم تظل أقوالاً لمجرد التمدح والفخر، وذلك لأنها كانت منه بمنزلة القناعات التي اطمأن إليها والتعاليم التي آمن بها وأخلد إليها، تبيّن ذلك في:

أ) تسامحه مع ذوي الأرحام والأقارب ولو كانوا من المعتدين، سمة طبعت الشاعر بطابع صريح في أغلب صفحات ديوانه وفي أغلب أيام حياته، وذلك في مثل قوله:

دعاني يشبُّ الحربَ بيني وبينه

فقلت له: لا بل هلمَّ إلى السِّلم

وإياكَ والحربَ التي لا أديمُها

صحيحٌ، ولا تنفكُّ تأتي على رَغم[٨٥]

وقوله:

فما زلتُ في ليني له وتعطُّفي

عليه، كما تحنو على الولدِ الأمُّ

لأستَلَّ منه الضِغْن حتى استللتُه،

وقد كان ذا حقد يضيق به الجِرْمُ[٨٦]

ب) وموقفه من البنات – وقد مرّ بنا أن الشاعر نقم على من يكره البنات وشدد عليه النكير[٨٧]، كما ذكر بناته أكثر من مرة، وذكر

٨١. ديوانه، ص٧٢.

٨٢. ديوانه، ص ٨٠.

٨٣. ديوانه، تحقيق شكري فيصل – دار الفكر، ص١٩.

٨٤. ديوانه، ص١١٣.

٨٥. ديوانه، ص١١٢.

٨٦. ديوانه، ص٤٥.

٨٧. الأبيات ص٨٥.

أنهنّ يبكينه إذا مات بدموع حرّى[٨٨].

جـ) ثم في موقفه من النساء – لقد وقف الشاعر من نسائه موقفاً ليناً، فيه الاحترام المتبادل، ولو أن العلاقات وصلت إلى الطلاق، إلاّ أنها لم تكن قائمة على التعسف والقسوة، فهو يتحاور معهن ولا يفرض عليهن ما يريد، فهو يقول:

ولو آذنتنا أمُّ حقّةَ، إذ بنا

شباب، وإذ لم تَرُعْنا الروائعُ

لقلنا لها بيني بليلٍ حميدة

كذاك بلا ذمٍ تُؤَدّى الودائعُ[٨٩]

فلو تركته زوجته أم حقة في شبابه لأطلق لها عنانها بهدوء واحترام **بلا ذم**، فهي وديعة لديه ينبغي أن تؤدى لأهلها. كما قال الله تعالى **"فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ"**[٩٠].

وحينما طلّق زوجته ليلى أرسل إليها ما يشعرها بندمه على طلاقها الذي قاله مازحاً، ورغبته في عودتها إليه، ولكنه لم يحاول إجبارها على مالا ترغب:

فقولا لليلى: هل تُعَوِّضُ نادماً

له رجعةً قال الطلاق ممازحاً ؟

فإن هي قالت: "لا" فقولا لها: "بلى"

ألا تتقين الجارياتِ الذوابحا[٩١]

ويذكر أبو الفرج[٩٢] أن الشاعر سافر إلى الشام وترك ابنته ليلى في جوار عمر بن أبي سلمة ابن أم المؤمنين أم سلمة، وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب، فلما سُئل: على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبية ليس لها من يكفلها؟ قال:

لعمرُك ما ليلى بدارِ مَضيعَةٍ

وما شيخُها، إن غاب عنها، بخائفِ

فإنَّ لها جارينِ لن يغدِرا بها

ربيبَ النبيِّ وابنَ خيرِ الخلائفِ[٩٣]

وقد مرّ بنا مناقشته الهادئة لمن لامته على الكرم المفرط.

وقد يتفق لغيره من الشعراء ما اتصف به من أخلاق إسلامية بوجه عام، ولكن قلما تجتمع في واحد كما اجتمعت لديه بالصورة التي تقدم شرحها.

رابعاً: عوامل أخرى

وربما يستخرج الباحث من ديوان معن، فضلاً عما ذكر من مظاهر تمثل الفكر الإسلامي، عوامل أخرى تعضد الصورة التي يمكن أن يكوّنها الذهن لهذا الشاعر الجادّ:

أ) فلقد خلا ديوانه من شعر الخمر، خلواً تاماً، وهذا يتناسب مع أخلاق شاعر اتخذ الإسلام فكراً ومعتقداً. وليس بخافٍ على الدارسين أن الخمر كان يذكر في أشعار بعض المخضرمين أو الذين عاشوا في عصر بني أمية.

٨٨. الأبيات ص٥٦.

٨٩. ديوانه، ص١٠٨.

٩٠. البقرة:٢٢٩.

٩١. ديوانه، ص١٠٣.

٩٢. **الأغاني**، ١٢، ٥٩.

٩٣. هذه رواية **الأغاني** (٥٩/١٢) طبعة دار الكتب – أما الخبر في الديوان، ص٩١، ففيه أنها عرسه (زوجه) وليس ابنته ليلى.

2 ـ **أما الطبقة الوسطى أو «البورجوازية الأندلسية»** على حد تعبير الباحث، فقد تراجعت في هذه الحقبة بفعل الظروف الاقتصادية العامة التي سبقت الإشارة إليها. تشمل هذه الطبقة التجار وأرباب الحرف وأصحاب الكتابة من المستعربين بالإضافة إلى بعض أعوان الدولة وذوي المهن الحرة كالأطباء[1] . دون إغفال اليهود ومجموعة من الشعراء[2] .

إن البورجوازية الأندلسية، يقول الباحث، استاءت من الأوضاع الاقتصادية السيئة التي كرسها الإقطاع ولذلك لم تتردد في المشاركة في مختلف الحركات الاجتماعية المناهضة للإقطاع. لقد كانت مطالبها الأساسية تتمثل في توفير الأمن والاستقرار وتخفيض الضرائب حتى تتمكن من مزاولة أنشطتها.

3 ـ في آخر الهرم الاجتماعي وضع الدارس طبقتين هما: **طبقة العوام وطبقة العبيد والأقنان.**

أما العوام فهم أكبر عدداً من الصناع والمياومين والعاطلين والفلاحين الأحرار وبعض الأقنان الهاربين من ضياع أسيادهم إلى المدن والرعاة[3] . لاحظ الدارس أن المصادر المختلفة تتحدث عن العوام باعتبارهم (سفلة) (ورِعَاع): كما أن الاقطاعية زادت من فقرهم ناهيك عن تأثرهم بمختلف الأزمات الطبيعية كالجفاف والمجاعات، فالفلاحون الذين يشكلون السواد الأعظم من العوام عانوا كثيراً من استنزاف أموالهم وانتاجهم من قبل الارستقراطية. وعادة ما يؤدي المزارع ثلث المحصول وضريبة نقدية[4] إلى جانب ذلك وجدت أنظمة في الإنتاج كحصة الثلث ثم الربع في الأراضي التي صولح أهلها على الجزية[5] . وكذا المناصفة. إنها أشكال وجدت كلها فيما يعرف بنظام المزارعة[6] . إضافة إلى ذلك يمكن للفلاح أن يؤدي خدمات أخرى كالسخرة مثلاً.

---

(1) إبراهيم القادري، 143.

(2) نفسه، 145 - 146.

(3) إبراهيم القادري، مرجع سابق 147.

(4) نفسه، 149.

(5) نفسه، 149.

(6) نفسه، 149، المزارعة نظام يقتضي أن يقدم المالك أرضه ودوابه ـ والمزارع يقدم البذور ويقتسمان =

هو الذي أوحى لأبي الطيب المتنبي قوله:

لكل امريءٍ من دهره ما تـعـودا

وعادات سيف الدولة الطعنُ في العدا[112]

وها نحن أولاء نتابع كيف استحال تمثل الشاعر للغة القرآن ولمفاهيمه وتعاليمه أخلاقاً عملية يصدر عنها في تعامله مع أبناء مجتمعه، والسلوك هو نتاج الفكر والانتماء إليه.

نظرة في المستوى الفنّي:

لدى النظر في المستوى الفني لشعر الشاعر، مع أن هذا ليس من خطة البحث الأساسية، فإنّنا نشير هنا إلى تقدير النقاد والأدباء المعاصرين للشاعر أولاً وإلى تأمل بعض عناصر التجربة الشعرية لديه ثانياً.

ففي تقدير المعاصرين للشاعر نقرأ في الأغاني أن معناً قد قدم البصرة فسأله الفرزدق: يا معن من الذي يقول:

لعمرك ما مزينةُ رهطُ معنٍ

بأخفافٍ يَطَأْنَ ولا سَنَامِ

وهو في هجاء قبيلة مزينة، فقال له معن: أتعرف يا فرزدق الذي يقول:

لعمرُك ما تميم أهل فَلْجٍ

بأردافِ الملوكِ ولا كـرام

فقال الفرزدق: حسبك إنما جرّبتك! فقال معن: قد جربتَ وأنت أعلم، فانصرف وتركه[113].

فلقد عرف الفرزدق منزلة معن من الشعر والاقتدار فيه على الرد على الخصوم. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: كان أشعر أهل الجاهلية منهم (من مزينة) وهو زهير، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس[114]، وفضله عبدالملك بن مروان على كثير من شعراء الجاهلية لقوله[115]:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه

بحلمي عنه، وهو ليس له حلم[116]

هذا في نظر النقاد والأدباء المعاصرين للشاعر في عصر بني أمية، أما النظر إلى عناصر التجربة الشعرية عنده فنجد أنه أفرغ أشعاره في قوالب لغوية جزلة، تتناسب وموضوعاتها وعصرها دون إكثار من الغريب الوحشي.

ويفتتح قصائده بما ينم عن قلقه في ذكر الأطلال وأحاديث الأرق مع المرأة، وبما يتفق مع موضوعات قصائده، فتحقق نوعاً من الوحدة الموضوعية، كما لاحظ محققا الديوان[117].

وإذا توسعنا في ذكر الحكمة في شعر معن وما فيها من صدق وواقعية كفل لها بأن تعيش إلى أيامنا هذه فإننا سنتحدث عن عنصر آخر

١١٢.المصدر السابق، جـ١٢، ص٥٥.

١١٣. المصدر السابق، جـ١٢، ص٦٠.

١١٤. ديوانه، ص٤٠.

١١٥. ديوانه، ص١٧.

١١٦. المصدر السابق والصفحة.

١١٧. ديوانه، ص٧٤.

من عناصر التجربة الشعرية وأعني به الصورة الفنية.

لقد لاحظ محققا الديوان أن التشبيهات التي أوردها الشاعر كانت من مألوف الشعر العربي في الجاهلية وفي عصر صدر الإسلام: "فالحدوج سفائن أو نخل، وعيون نعم عيون جؤذر، وجيدها جيد رئم، وشعرها الكثير الأسود كالكرم"[١١٨].

وربما أضيف إلى هذه الملاحظات، حول تشبيهات الشاعر، أن بعضها يرسم صوراً لحالات نفسية وبعضها الآخر يرسم صوراً محسّة، فمن الأولى يقول:

فإنكم وتركَ بني أبيكم

وأسرَتكم تجرّون الحبالا

وودَّكم العِدَى مِمَّن سواكم

لكالحيرانِ يتبعُ الظِّلالا[١١٩]

فهم حينما يصاحبون الأباعد ويتركون الأقارب لن يجدوا من غير أهلهم معونة، وسيكونون تائهين حيارى كمن يحاول أن يمسك بظلّه!

وقوله:

لعمرك إني والغراسةُ هاهُنا

أخيراً لكالحادي وقد نزل الركب[١٢٠]

إن الشاعر يصف نفسه، بعد أن يستولي بعض أقاربه على بطن **أحوس**، وهو من أملاكه، بأنه مثل من يحدو إبل القافلة بعد أن

أنهت رحلتها وتفرقت!

ومن الثانية قوله:

وإن أنتصرْ أكنْ مثلَ رائش

سهامَ عدو يُستهاضُ بها العظم[١٢١]

فهو إن غلب ابن عمه أصبح كمن يضع في سهام العدو ريشاً ليقويها عند انطلاقها على نفسه! إنها صورة حسيّة توضح الدعوة إلى عدم مخاصمة ابن العم وتعميقها.

وقوله:

فما زلت في ليني له وتعطفي

عليه، كما تحنو على الولدِ الأمُ[١٢٢]

وصورة حنان الأم هي المشبه بها، وحالته في ملاينة ابن عمه هي المشبه، ويجمع بينهما الرقة واللين والحنو والحنان.

وقد يلجأ الشاعر للكناية يعبر بها عما يريد، فحينما استل الضغن من صدر ابن عمه قال:

فأطفأت نار الحرب بيني وبينه[١٢٣]

وهي صورة معبرة عن انتهاء حالة الخصام بينهما.

على أن صورة رسمها الشاعر لقدور الكرم، التي افتخر بها في مضارب قبيلته أحسب أنها لم تسبق، وهي تستغرق في وصفها ثمانية أبيات شعرية. فهو يقول عن ممدوحه سعيد بن العاصي من بني أمية:

أخو شتواتٍ لا تزالُ قدورُهُ

يحلُّ على أرجائِها ثم يرحلُ

١١٨. ديوانه، ص٩١.
١١٩. ديوانه، ص٤٠.
١٢٠. ديوانه، ص٤٥.

١٢١. ديوانه، ص٤٩.
١٢٢. ديوانه، الأبيات، ص٤٩-٥٠.
١٢٣. ديوانه، ص٤٩.

إذا ما انتحاها المرمِلونَ رأيتها

لوَ شْكِ قِراها وهي بالجَزْلِ تُشعَلُ

سمعت لها لغْطاً إذا ما تَغْطَمْطَتْ

كهـدر الجِمالِ رُزَّمـاً حين تُجْفَلُ(١٢٤)

فـلا يـزال النـاس يقصـدون بيـت الممـدوح وقدوره، صيفاً وشتاءً، ويكاد الجائعون، إذا مـا اقتربوا منهـا، يسـمعون نشيشـها وغليهـا مثـل هديـر الجمـال وهـي تنـوء بأحمالهـا وتذهـب مجفلـة، وقـد أشـعلت تحتهـا النـيران فـي مكـان عالٍ غير مستور ليراها كـل مـن فـي المكـان، وهي ذات أحجام كبيرة، وقطع السـنام والشـحم فيهـا تشـبه رؤوس الشـيوخ وأجزاؤهـا تغطـس في مائها، وحينما يغلي الماء فيها فكأنها أمواج تلتطم فيها أو كأنها خيل قد وضعت حديثـاً مـع أولادها، أو كأنها تصيبها الرجفة عند الغليـان، وينهي هذه الأبيات بقوله:

فتلك قدورٌ لا تـزال مقيمةً

لمن نابها فيها معـاشٌ ومأكلُ

إن الباحث يرى أن هذا الوصف المستفيض لقـدور الممـدوح الكريم يلفت انتبـاه البـاحثين، فلعله لم يسبق بمثل هذا الوصف الحافل.

ولا بد من الإشـارة، قبـل الانتهـاء مـن هـذا البحث، إلى أن لغة الشاعر وقدرته على السبك قد ظلت، في جميع أنحاء ديوانه، جزلة، قويـة، لم تشبها ركاكة ولم تنحطّ بها بساطة.

وبعد،

هذه مجموعـة مـن الملاحظـات الفنيـة التـي تحمل على تقدير هـذا الشـاعر حـق قـدره كمـا قدره السابقون من النقاد والأدباء، فأشاروا إلـى فحولتـه فـي الإسـلام، مـن بيـن الشـعراء المخضرمين، بما يمكن أن يكون هذا البحث قد قام تجاهه بواجب توضيحـه، فـي اقتفـاء آثـار كتاب الأمة الخالد في تشكيلاته اللغويـة مـرة، وفي الولاء لأفكاره وقيمه ثانية، وفي الصـدور عنها في التعايش مع بني مجتمعه ثالثة.

المصادر والمراجع:

١) الأصبهـاني، أبـو الفـرج، **الأغـاني**، طبعـة دار الكتـب، مصـر، الجـزء الثـاني عشـر، (بلا.ت).

٢) ابن حجر، الإصابـة فـي تمييز الصحابـة، تحقيـق البجـاوي، مصـر، الجـزء السـادس، (بلا.ت).

٣) البغـدادي، **خزانـة الأدب**، الجــزء الثــالث، (بلا.ت).

٤) البكري، **سمط اللآلي على أمالي أبي علي القالي**، البكري، الجزء الثاني، (بلا.ت).

٥) الحصري، **زهر الآداب**، تحقيق البجـاوي، القاهرة، الجزء الثاني، ١٩٥٣.

٦) **ديـوان النابغـة الذبيـاني**، تحقيـق شـكري فيصل، دار الفكر، دمشق، (بلا.ت).

٧) السيوطي، **شـرح شـواهد المغنـي**، دمشـق ١٩٦٦.

٨) العـاني، سـامي مكـي، **الإسـلام والشـعر**، عالم المعرفة، حزيران، ١٩٨٣.

٩) العباسي، **معاهد التنصيص**، تحقيـق محمـد محيـي الديـن عبدالحميـد، مطبعـة السـعادة، مصر، ١٩٤٧.

١٢٤. ديوانه، ص٤٩.

١٠) القيسي، نوري حمودي، والضامن، حاتم صالح، **ديوان معن بن أوس المزني**، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧.

١١) المرزباني، **معجم الشعراء**، تحقيق عبدالستار فراج، مصر، ١٩٦٠.

The Influence of Islam on Ma'n Bin Aws Al-Muzani's Poetry and its Forms

Omar A.Sarisi

Abstract

This paper aims at clarifying the extent to which the poet Ma'n Bin Aws Al-Mozani (٦٤H) assimilated the Islamic teachings in his poetry. The biographies mentioned that he was one of the great Islamic poets who lived in the Pre-Islamic (Jahiliyyah) era and during the early years of Islamic Khilafah. Such claim was not substantiated by evidence. So, it is a necessity to look critically into his poetry to find out whether he really was an Islamic poet. The researcher found that Ma'n Bin Aws was sometimes superficially affected by the Islamic teachings especially in his choice of certain vocabulary items and linguistic formulas, but on other times, the poet was found to have been deeply affected by the Islamic teachings especially in the religious concepts he chose to write about, and in his own personal behaviour and cross behaviour with others. His poetry reveals all this very clearly.